

قراءة انثربولوجية في أساطير الأهقار: تصنيف وتحليل.

An Anthropological Reading of Ahaggar Myths: Classification and Analysis.

أ.د محمد بن منوفي

جامعة الجزائر 2،

مخبر اطلس للثقافة الشعبية الجزائرية

benmanoufima82@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/10/22

تاريخ النشر: 2024/12/10

ط.د خديجة بالمين*

جامعة الجزائر 2،

مخبر اطلس للثقافة الشعبية الجزائرية

khadidja.balamine@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/11

ملخص:

جاءت دراسة الأساطير بغية قراءة الماضي بالإطلاع على العقائد والمقدسات وفهم نظم الإنسان الاجتماعية من خلال عاداته وطرق حياته، وتهتم الانثربولوجيا بالأساطير باعتبارها علم يهتم بدراسة سلوك الإنسان، فالأساطير مادة خصبة له تطلعه على التراث الإنساني وسلوكياته وأنماط تفاعلاته اليومية، وتتحكم في تنبؤاته المستقبلية.

وقد انتج توارق الأهقار القدامى أساطير متنوعة لاتزال مادة خام للدراسة والبحث، إذ تسلط هذه الدراسة الضوء على الأساطير بالأهقار وتستقر أساطير الأهقار التي ولدت في حضارة تجاوزت السبعة آلاف سنة، إن من خلال الجداريات الأثرية أو محافظت عليه الذاكرة الشفاهية، حرصا على حماية التراث الوطني والتعريف به، وتحاول هذه الدراسة تصنيف الأساطير وفق المعايير التي أخذت لها الأساطير العالمية ومن خلال ذلك التعريف بالبيئة التي خلقت هذه الحمولة الثقافية، على تنوعها وغناها بفضل بعدها في التاريخ، مروراً بجملة المعايير التي اقترحها الباحثون والنقاد الغرب والعرب.

ونجد في المقاربة الانثربولوجية الثقافية الاجتماعية الآلية القرائية المناسبة في معرفة الحمولة الرمزية والإيحائية للأسطورة بالأهقار ومن ثم تصنيفها، بما فتح النص السردى للأسطورة آليات جديدة انتجت قراءة جديدة لتصنيفها. الكلمات المفتاحية: أساطير؛ أهقار؛ تصنيف؛ انثربولوجيا ثقافية؛ انثربولوجيا اجتماعية.

Abstract

The study of myths aims to explore the past by examining beliefs, sacred elements, and understanding human social systems through customs and ways of life. Anthropology, particularly myth anthropology, focuses on studying human behavior, considering myths as fertile material providing insight into human heritage, behaviors, and daily interaction patterns, influencing future predictions.

The ancient Touaregs have produced diverse myths, still serving as raw material for study. This research sheds light on Touareg myths, born in a civilization spanning over seven thousand years, documented through archaeological murals and oral traditions, preserving national heritage. The study classifies myths based on global criteria, defining their cultural context

and richness in history, following standards proposed by Western and Arab researchers and critics.

In cultural and social anthropological approach, the suitable interpretive mechanisms unveil the symbolic and evocative weight of the myth within the context of Ahoggar, consequently paving the way for a new interpretation and classification of the narrative structure of the myth.

KeyWords myths; ahaggar ; classification ; social anthropological ; cultural anthropological.

*المؤلف المرسل

المقدمة: تقدم دراسة الأساطير خدمة للتاريخ، ذلك أنها تستنطق الأحداث التاريخية وتستكشف الحضارات القديمة لتكون كتاباً مفتوحاً على أحداث سابقة، لكن الدراسات الأنثروبولوجية للأساطير تعد أعمق استنطاقاً للتاريخ من حيث كونها تعيد فتحه وقراءته بآليات تختلف عن النظرة التاريخية، بما تقدمه من غوص في طبيعة الإنسان فتحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية وتهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والاقتصادية. والأساطير في الأهقار تحمل تركيبة من النوع البشري ونظمه الثقافية والاجتماعية فضلاً عن الإقتصادية منها، وهي بذلك تقدم للقراءة الأنثروبولوجية الثقافية والاجتماعية، مادة دسمة لاستجلاء حقائقها، وتساهم في إعادة التفكير في معايير تصنيف الأدب الشعبي عموماً والأساطير خصوصاً، وفق ما تتميز به المجتمعات التي خلقت هذه الأساطير.

قلب النص:

I. مفاهيم نظرية: الانثروبولوجيا الثقافية، الانثروبولوجيا الاجتماعية، الأسطورة:

1. الانثروبولوجيا الثقافية:

تختص بدراسة كافة اشكال التفكير والتصور، والتمثلات التي يحملها الأهالي تجاه العالم الطبيعي المادي، والعالم الرمزي، حيث يرصد الانثروبولوجي ويصف ويحلل مجموع السلوكات والطقوس والشعائر، كما يرصد التجليات الدينية على أرض واقع العلاقات الاجتماعية في اطار العلاقات بين الفردية أو علاقة الجماعة بالمقدس... التي لاتنفصل عن سسائيم القرابة والزواج وتنظيم الجماعات والطوائف السلالية ... (أبلال، 2011، الصفحات 41-42)

2. الانثروبولوجيا الاجتماعية:

يعد مصطلح البناء نقطة انطلاق الانثروبولوجيا، وهو بذلك ينظر للمجتمع على انه نواة بنائية لتكوين منظم لأجزاء متعددة، إذ يحاول الأنثروبولوجي اكتشاف هذا النظام وتفسير العلاقات القائمة

بين الأفراد. إذ تُعرّف الأنثروبولوجيا الاجتماعية على أنها: "تدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة، والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية، والعبادات الدينية، وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية، التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع، يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات" (إدوارد، 1960، صفحة 13)

مما يبدو أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بدراسة الإنسان من حيث نظمه لا من حيث كونه إنساناً كما تعمل عليه الأنثروبولوجيا العامة، وبالحدوث عن النظم قد يلتبس مصطلحان وهما المجتمع والثقافة، ذلك أنهما يشكلان مساحة لمسألة الأنثروبولوجيا الثقافية و الأنثروبولوجيا الاجتماعية فتتداخل مجالات عملهما .

لكن علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية حددوا مجال دراستها من خلال "دراسة العلاقات المتبادلة بين هذه النظم سواء المجتمعات القديمة التي تدرس من خلال آثارها المادية والفكرية، أو في المجتمعات الحديثة والمعاصرة التي تدرس من خلال الملاحظة المباشرة لمنجزاتها وتفاعلاتها الخاصة والعامة" (عيسى، 2004، صفحة 115)

وجدت الأنثروبولوجيا الاجتماعية للتعلم في دراسات ميدانية شاملة للمجتمعات على ندرتها وسطحياتها، بل وتهدف أيضاً إلى دراسة أنظمة اجتماعية معينة واعتبار كل وحدة متكاملة، مع متابعة علاقاتها المتبادلة، لكن المهمة ليست بالسهلة على الأنثروبولوجي لما يعيق هذه الدراسات على اعتبار هذه الأنظمة كيانات متميزة عن المجتمعات والإختلافات الفردية في التعبير عن نماذج النظام .

3 تعريف الأسطورة:

في اللغة :

من سطر (لسان العرب) السَطْرُ والسَطْرُ: الصَّفُّ من الكتاب والشجر والنخل ونحوها؛ قال جرير: مَنْ شَاءَ بَايَعْتُهُ مَالِي وَخُلَعْتُهُ، مَا يَكْمُلُ التَّيْمُ فِي دِيَوَانِهِمْ سَطْرًا وَالسَّطْرُ: الحِطُّ والكتابة، وهو في الأصل مصدر. الليث: يقال سَطْرٌ مَنْ كُتِبَ وَسَطْرٌ مَنْ شَجِرَ معزولين ونحو ذلك؛ ن وقال الزجاج في قوله تعالى: وقالوا أساطير الأولين؛ وقالوا الذي جاء به أساطير الأولين، معناه سَطْرَةُ الأولون، وواحد الأساطير أسطورة، كما قالوا أَخْذُوْنَهُ وَأَحَادِيْثَ.

وَسَطَرَ بَسَطُورٌ إِذَا كَتَبَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ"؛ أَيُّ وَمَا تَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ؛ وَقَدْ سَطَرَ الْكِتَابَ يَسْطُرُهُ سَطْرًا وَسَطَرَهُ وَاسْتَطَرَّهُ.. وَالْأَسَاطِيرُ: الْأَبَاطِيلُ. وَالْأَسَاطِيرُ: أَحَادِيثٌ لَا نِظَامَ لَهَا، وَسَطَرَهَا: أَلَفَهَا. أَمَّا اصطلاحاً: فقد تعددت تعاريف الأسطورة وخاض النقاد في التدقيق في مفهومها، وتنوعت المناهج التي حددت مفهومه منها ما رآه:

في الأدب والنقد:

أُسْطُورَةُ عِلْمِ الْأَسَاطِيرِ: - علم يبحث في مجموعة الأساطير المعروفة والشائعة لدى شُعْبٍ مِنَ الشُّعُوبِ وَخَاصَّةً الْأَسَاطِيرِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَلِهَةِ وَالْأَبْطَالِ الْخِرَافِيِّينَ عِنْدَ شُعْبٍ مَا (عمر، 2003، الصفحات 92-93) وقسمت نبيلة إبراهيم الأساطير (إبراهيم، دت، صفحة 9) وفق وظيفتها والدور الذي جاءت لتؤديهِ إلى أنواع كما يأتي:

أولاً: أنواع الأسطورة:

1. أساطير الخلق والتكوين: هي تلك الأساطير التي تحكي قصة خلق الكون وإرساء أركانه ودعائمه، وقصة خلق الآلهة والإنسان وباقي المخلوقات، بحيث تعمل على بيان شجرة نسب الآلهة وتحديد طبيعة العلاقات القائمة بينها، وأنواع الوظائف الموكلة إلى كل منها، ومثالها أسطورة التكوين البابلية القديمة وأساطير الخلق والتكوين الإغريقية.

2. الأساطير الطقسية :

وهي تلك الأساطير التي بقيت محافظة على الجانب الكلامي للطقوس الدورية التي عرفتتها الجماعات الشعبية في الماضي، ويقصد بها تلك المتعلقة بالاحتفالات الدينية الموسمية وبشائية (الخصب _ الجذب)، والطقس هو الممارسة التي تصاحب تلك الاحتفالات الدينية في حين ترتبط الأسطورة بالجانب الكلامي، ومن أشهر أمثلتها أسطورة "أزيسو أوزوريس"

3. الأساطير التعليلية :

وتلك التي تعلق ظاهرة كونية ما وتفسرها تفسيراً ينسجم و الذهنية الشعبية لمبدعيها من أفراد الجماعة، على نحو أسطورة زواج السماء بالأرض .

4. أسطورة البطل المؤله:

وهي أسطورة تحكي مغامرة بطل ما هو بالإله الخالص وماهو بالإنسان الخالص ولكنه شئ من هذا وذاك ،هدفها اعطاء عاقبة محاولة الانسان أن يصل الى صفات الآلهة ،وإثبات أن الخلود خاص بالآلهة أما الموت فهو مصير كل إنسان (فزازي، 2010، الصفحات 75-78) ومنها اسطورة جلجامش.

5. الأسطورة الرمزية:

أضافت د نبيلة ابراهيم نوع أسطوري آخر غير عند الكثير من النقاد ،لا يخضع في تصنيفه للأنواع الأسطورية السابقة وتتضمن الأسطورة الرمزية رموزاً تتطلب التفسير ومن المؤكد أن مثل هذه قد ألفت في مرحلة فكرية أقدم من تلك التي ألفت فيها النماذج السابقة ،فتفكير الانسان لاينحصر فيها في الاجواء السماوية وفي الظواهر الكونية ،وانما يتعداها الى العالم الارضي عالم الانسان (ابراهيم، دت، صفحة 19) بيد أن الباحثين خاضوا عدة سجلالات في تحديد تصنيف جامع شامل للقصص الأسطوري لكن الإجماع عليها كانت خطوة خائبة فلكل توجهه ومنهجه البحثي ووجهة نظره ،مما ساهم في اذكاء وتنوع النقد الأسطوري . يبدو أن الدكتور نبيلة ابراهيم حصرت الأسطورة في مفاهيم تقليدية لاتخرج عن دراسة مادتها ،في حسن لابد من توسيع الرؤية في دراسة الأسطورة على نحو ما نادت به التوجهات النقدية الحديثة ،بإخراجها الى توجه سياسي ونفسي ولغوي وثقافي من خلال بحوث ماكس مولر وليفني شتراوس ،ورولان بارت.

ثانياً: إشكالية التصنيف:

أحد أهم الإشكالات التي تعرض للباحث في مجال القصص الشعبي بصفة عامة والأسطورة على وجه التحديد،هي تعدد أوجه التصنيف ،قد حصرتها مصطفى أوشاطر في ثلاث تصنيفات واتجاهات :

1. اتجاه يعتمد التصنيف على مقياس الموطن
2. اتجاه يعتمد التصنيف على مقياس الموضوع
3. اتجاه يعتمد التصنيف على مقياس التطور

1. تصنيف أنواع الأساطير على مقياس الموطن:

الأساطير الأصلية: تلك التي تكونت في مجتمع ما ، واستمرت فيه لتمثل الحصيلة الطبيعية لتفاعلاته الداخلية وتطلعاته في مرحلة لم يكن الإبداع الذهني فيها قد تجاوز المستوى الاسطوري. الأساطير المهاجرة: تلك الأساطير التي انتقلت من مجتمع الى آخر تحت تأثير مجموعة من العوامل ،كعامل الجيرة والتبادل التجاري والسياسي على وجه الخصوص (اوشاطر، 2019، الصفحات 351-380).

2. تصنيف على مقياس الموضوع:

2. 1- تصنيف صموئيل هنري هوك :

ميز صموئيل هنري هوك ،بين خمسة أنواع من الأساطير يقول "بدراسة المادة الأسطورية بالغة التنوع التي أعطاها الشرق الأدنى القديم ،وبإستخدام فكرة الوظيفة معياراً ،يصبح ممكناً تمييز الأنماط التالية:..

- أسطورة الطقس فهي سرد القصة التي يجري تمثيلها فتصف الموقف ،لكن القصة لم تكن تروى للترويح عن المشاعر .
- وأسطورة الأصل تقوم على تفسير خيالي لأصل عادة او اسم مادة.
- أسطورة العبادة تتمثل في تأكيد العلاقة بين الإله وجمهوره من البشر .
- أسطورة الصيت إحاطة شخصيات خاصة أو مدن معينة بهالة من الغموض والقداسة .
- أسطورة البعث إمكانية التخلص من الشرور إنطلاقاً من الفعل المقدس الذي يتعذر وصفه بغير لغة الأسطورة .

ويستدرك صموئيل .ه.هوك في كتابه ديانة بابل وآشور بقول:"عندما نأتي الى درس الأساطير التي حفظتها لنا البقايا الكثيرة مما خلفه لنا الأدب الديني في بابل وآشور ،نحدد من الأساطير ... الاساطير الطقسية وأخرى نسميها أساطير الأصول.

2. ب - تصنيف ثورد كلد جاكسون:

قدم ثورد كلد جاكسون محاولة جادة في تصنيف الأسطورة وفق مقياس الموضوع ،فرأى أنها تنقسم الى:

- أساطير الأصول :وهي التي تسأل عن اصل كينونة او جملة كينونات في نطاق العالم ،آلهة ،نبات،بشر.
- أساطير التنظيم:تسأل كيف حدث هذا النوع او ذاك من المعالم ؟وكيف ظهرت بعض الأقاليم ..كيف حصل الإله على وظيفته...

3. أساطير القيمة :تشكل مجموعة متفرعة عن أساطير التنظيم ،تسأل بأي حق يحتل هذا الشئ او ذاك موقعه من العالم ،مثل الأساطير التي تقارن بين الفلاح والراعي أو بين الحبوب والصوف ... (اوشاطر، 2019، الصفحات 351-380)

4. تصنيف على مقياس التطور:

يجمع هذا التصنيف بين مقياسي الموضوع والتطور فهو من جهة يركز على المضامين التي خصت بها كا نوع من الاساطير ومن جهة اخرى يتدرج في فهم مراحل التفكير الانساني

أما احمد كمال زكي فيرى أنها تتمثل في :

أسطورة الاخبار او تاريخسطورة :فهي تاريخ وخرافة معا وتتضمن عناصر تاريخية و مجموعة خوارق خرافية.

واعتنى ابراهيم عبد الرحمن بتصنيف الأسطورة العربية القديمة ، حيث ميز فيها بين أربعة أساطير:

الاول :يجمع الأساطير التي ارتبطت بطقوس العبادة في ديانات الجاهليين وتقف هذه الأساطير عند تسجيل الطقوس القولية التي كانت تصاحب الطقوس الدينية.

الثاني: الأسطورة التعليلية التي تحاول تفسير الظواهر الغامضة.

الثالث:الأساطير الرمزية وأكثرها يرد في شكل حكايات منتزعة من عالم الحيوان غايتها تفسير الأمثال العربية المختلفة وتلعب الكائنات الحية بصفة خاصة دوراً بارزاً في هذه الأساطير.

رابعاً:الأسطورة التاريخية :تتمثل في الحكايات المأثورة عن حروب الجاهليين القومية والقبلية وغيرها من ايام العرب. (اوشاطر، 2019، صفحة 376)

في حين يبنى مرسيا الياد الأساطير على نوعين من القصة ،القصة الزائفة والقصة الحقيقية ،إذ تعتبر الحدوتات والحكايات ،قصصا زائفة وكذلك مايتعلق بمغامرات وأعمال القبوط ،أما القصص الحقيقية فهي التي تتناول أصول العالم ،أما شخوصها فكائنات إلهية ،وتبين علاقة الإنسان بالقدس وبما يفوق الاشياء الطبيعية .

كمايميز حكايات المغامرات العجيبة :بطلها البطل القومي ،والقصة المتعلقة بالسحر بطلها ساحر اكتسب قوى خارقة .وهي قصص حقيقية. (مرسيا، 1987، صفحة 12)

إذا وقفنا على جملة هذه التصنيفات على تنوع مضامينها ،نلاحظ أنها تشترك في الفصل بين بنية الأسطورة وبين الشعائر.

وبالوقوف على ما يذهب اليه مرسيا الياد لابد من التفريق بين الأسطورة التي تمثل جملة من الطقوس والشعائر ،و بين قصة الأسطورة وهي المتن الحكائي الذي يروي جملة من الأحداث وتروي سلسلة من الحوادث جرت في ماض بعيد. وهو الشق الذي وقفنا عليه في أساطير الأهقار ،بل ماوصلنا من متون أسطورية.

ثالثا: تصنيف الأساطير في الأهقار:

إن العمل على تصنيف دقيق للأساطير عند إيموهاغ تحقار وفق معايير فنية نقدية ،يستدعي بالضرورة استحضار المجتمع وتاريخه وبيئته الثقافية والتاريخية والدينية ،ذلك أن الأساطير جاءت لتنظيم حياة الإنسان من خلال تفسير الغيبيات وأعمال الأبطال، ففي اعتقاد جيرالد لارسون : "أن الأسطورة حكاية أو مجموعة من الحكايات أو الروايات .المنسوخة عن القوى الغيبية أو الآلهة والمتداولة بين الناس في العشيرة أو القبيلة أو الجماعة العرقية، تعرض

تجاربها وعالمها فردياً أو جماعياً، كما أنها تفسر خلق الكون والإنسان، ونشأة الموت والقربين وأعمال الأبطال" (الثوري، 1981، صفحة 10)

ولابد للباحث أن يكون على دراية واعية بمجتمع الأسطورة ونمط عيشه وتفكيره ومعتقداته، فليس من المنطق أن نثبت معايير قيسست بها ثقافات إغريقية ويونانية ومشرقية قديمة، بمجتمع يختلف اختلافاً من حيث البيئة والمجتمع وثقافة الشعوب وبالتالي حضارتها، ذلك أن الأسطورة تخلق من حاجات الشعوب وتعبر عن معتقداتها " أن الأساطير تنبعث من حاجة دينية عميقة وتوق اخلاقي وانضباطات وتحديات تظهر في صبغة إجتماعية ومتطلبات عملية . أما في الحضارات القديمة البدائية تلعب الأساطير دوراً ضرورياً إذ أنها تعبر عن المعتقدات، أنها تشريع حقيقي للديانة البدائية وللحكمة العملية كما يقول مالمينوفسكي (بشور، 2013، صفحة 11)

،ومن المفارقة أن تتحد معتقدات يونانية أو إغريقية مع حاجات في مجتمع التوارق. ذلك أن الظروف في كلا الحضارتين مختلفتين، لامن حيث الزمان والمكان ولا من حيث المعطيات الجغرافية والثقافية والتاريخية والمادية والبشرية. وبغاية تحقيق تصنيف جامع بالاعتماد على ما وصلت إليه تصنيفات النقاد السالفة الذكر ،لابد من مراعاة بضع معايير للإنطلاق :

1. المعيار الأول : تحديد الزمن التاريخي:

نحدد فترتين زمتين فاصلتين: الأولى: قبل وصول الملكة تين هنان ، الثانية بعد وصول الملكة تين هنان

الفترة الزمنية الاولى : قبل وصول الملكة تين هنان إلى الأهقار:

أما عن الفترة الأولى فقد وصلنا النزر اليسير من الحقائق والأحداث ومنها:

أن السكان الاصليين والأوائل لمنطقة الهقار هم قبائل "اسابتن" وفق ماورد في الموسوعة البربرية:"

اسابتن les Ijabbaren, Ijobbaren ou Isabaten

يطلق عليهم إَجَبَّارَن، و إَجُوبَارَن واسابتن، ووردت بمعنى العمالقة(والأرجح ان كلمة اجبارن جاءت من اللفظة العربية جبار فهي أقرب للدلالة على عملاق)، ويعد اسابتن أسلاف الطوارق الأوائل، وبالعودة لآثارهم الممثلة في كتابات "تيفيناغ"، يقول التوارق أن هذه الكتابة خرقاء وتخطيط العلامات ومعناها في القراءة مقدمة على أنها فوضوية والكلمات لا تزال غير مفهومة " ، كما أنهم يتصفون بالفظاظة والوقاحة والسذاجة ،ولكنهم مسالمين الى حد ما .

ويؤكد "شارل دي فوكو " أن الملكة تين هنان الوافدة من تافيلالت المغرب في القرن الحادي عشر على جملها الأبيض بصحبة خادماتها، لم تكن بحاجة الى أسلحة للسيطرة على آخر الناجين من قصيري الافق " اسابتن"، وكانوا يتحدثون لهجة خاصة وخشنة، يعيشون بالأهقار قبل الإسلام ، كما كانوا يعيشون بالكهوف ، بحيث يستطيعون

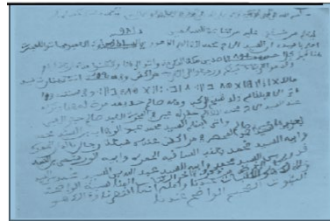
رؤية "سهل اغتار الكبير" واعتبروه اله وخافوه . ووفقا للنظام التشريعي في الاهقار ،تعتبر بعض القبائل أن اسابتن أسلاف لها في حين أن قبائل "اهقار" النبلاء" ينحدرون من بلد آخر في وقت لاحق ومن اصل مختلف " (Hawad، 2003)

وخلاصته أن هاته القبائل كانت تتصف ب :

- خشونة الطباع ،السذاجة ،الفظاظة،قصر الافق.
- الكتابة "تيفيناغ" اللغة :لهجة تارقية خاصة وغير مفهومة الكتابة.

لم يدينوا بالإسلام ،إذ حسبوا السهل إلاهاً. كذلك ينسب الطوارق الإيدبنان *idebnân* (المدافن الجنائزية الموجودة الآن في الاهقار إلى "اسابتن" ، الوثنيين الذين كانوا أسلافهم في الجبال الوسطى للصحراء. (Camps، الصفحات 119-125)

- ضخام الأجسام الى حد العملاقة.
- تحدد الفترة الزمنية بما قبل القرن الحادي عشر حسبما أورده شارل دي فوكو من (1001_1100)، كما يؤكد المخطوط الذي عثر عليه في عين صالح.



المصدر : *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*,

n°13-14, 1973

- كما نذكر أيضا أن شخصيتي "امالان والباس" اللذان ورداً في الملحمة الأسطورية الشهيرة، يعدون من قبائل "اسابتن".

الفترة الزمنية الثانية بعد وصول الملكة تين هنان:

ما تجدر الإشارة إليه أن مقدّم الملكة يؤسس لدخول الدين الإسلامي لأراضي الأهقار، مما ينعكس على التفكير التارقي والعقلية الشعبية والنمط المعيشي ، " فالأساطير تنبعث من حاجة دينية عميقة..." (بشور، 2013، صفحة 11) وفق ما جاء على لسان مالىنوفسكي، فالعلاقة وطيدة بين الدين والأسطورة ،مما سيعيد بناء وتركيب

أساطير وفق هذا المتغير. "فالأسطورة ليست بحثاً عن الأسباب، وإنما هي كفالة للدين وضمان وليست غايتها أن ترضي الفضول بل إن تؤكد الإيمان" (جيمس، 1998، صفحة 21)

2. المعيار الثاني : الوعي الجمعي عند قبائل توارق الاهقار:

تتطافر عدة عناصر مؤثرة في الوعي الجمعي منها: الموروثة الثقافية "وهي بقايا من التراث لم يعد لها دور وظيفي في الحاضر، ولكن يفترض انها قد كانت وظيفتها في احد الازمنة السالفة بطريقة اكثر دلالة او اكثر اهمية مما هي عليه الآن وعلى ذلك فإنها تشير، بالنسبة الى اغراض النظرة التاريخية الى الاشكال الثقافية المبكرة" (العنتيل، 1978، صفحة 35)، وكذلك المعتقدات (الدينية والإيمانية) والقيم والعادات والطقوس (كمراسم الزواج، والأعياد والمناسبات ...) والأعراف.

ومما يعد متغيراً أيضاً في الأسطورة استغلال مكونات التراث الأول كعناصر فكرية تغذي الأسطورة الجديدة.

تبعاً للمعايير السالفة، وإعتماداً على موضوع الأسطورة، أميز في أساطير الاهقار الأنواع الآتية:

- أ. أسطورة التكوين: والتي تتناول خلق الكون.
 - ب. الأسطورة التعليلية: والتي جاءت بغاية تفسير ظواهر وأحداث غامضة .
 - الأسطورة الرمزية: والتي تحمل مضامين إما تعليمية أو تنظيمية إبطالها شخصيات حيوانية أو شخصيات خارقة.
 - ت. الأسطورة التاريخية: تتضمن عناصر تاريخية وخوارق تؤرخ لأحداث تاريخية.
 - ث. أسطورة البطل الإله: وفيها يكون البطل مزيجاً من الإنسان والحيوان.
- وأوزع الأساطير المجموعة حسب أنواعها وخصائصها، ويجدر بي الإشارة الى أنني اعتمدت في جمع مادتي على المقابلات الشفهية والزيارات الميدانية، باستعمال الاستبانة كأداة لجمع المادة، عبر بعض القرى في الأهقار رجاء رصد مادة علمية دقيقة .

أما الجدول الآتي الجدول الآتي:

عنوان الاسطورة	تصنيفها	خصائصها	التعليل
تيبازيين	أسطورة تعليلية	بسبب عدم قدرة الإنسان البدائي على تفسير وشرح احد الظواهر الموجودة ،فيلجأ إلى خلق أسطورة لتوضيح الظاهرة	إن وجود صخرتين بلونين مختلفتين ،ومما وصلهم من قصص عن فتاتين ووجدتا داخل مدفن جنائزي على نحو دفن القدامى لموتاهم خلق تساؤل وحيرة كان تفسيره ومبرره أنهما فتاتين فرتا من الغزو حسبما تذكر الأسطورة
مَالْن دَالْيَاسْ	أسطورة تاريخية(ملحمية)	حكايات مأثورة عن الحروب القومية والقبلية وهي أيضا تتضمن عناصر تاريخية ومجموعة خوارق	هذه الاسطورة تروي احداث فترة هامة من تاريخ اموهاغ الاهقار ،وترجمة لما عثر عليه من آثار تيفيناغ على الجبال والكهوف.
فُوقَاسْ	اسطورة تعليلية	تعلل ظاهرة	الظاهرة المعللة لماذا يرتدي رجال اموهاغ اللثام دون النساء.
الجبال المتكلمة	اسطورة التكوين	تصور كيف خلق الكون	تموضعت الجبال حسب

فُوقَاسْ	اسطورة تعليلية	تعلل ظاهرة	الظاهرة المعللة لماذا يرتدي
			رجال اموهاغ اللثام دون النساء.
الجبال المتكلمة	اسطورة التكوين	تصور كيف خلق الكون	تموضعت الجبال حسب رغبتها وفق الاسطورة ،بل وتحكم بعضهم في مكان الآخر ودارت بينهم علاقات عاطفية
تَنِيسَمْتْ	اسطورة الصيت) اسطورة اصل)	احاطة شخصيات خاصة او الغموض والقداسة	احيطت شخصية "تَنِيسَمْتْ" بشئ من القداسة حتى انهم يخشون ذكر اسمها
وحش الطريق "آخو" و قصص "كيل" أسوف" (الجن)	اسطورة	ويل تشابك علائقها مع كائنات ماورائية مثل الجن والعفاريت	البطل كائن ماورائي صاحب قدرات خارقة "الوحش" اخو "وكيل اسوف".

*

تحليل وتفسير:

إن الحديث عن أساطير الطقس والخلق والتكوين، بات أمراً غير ممكن في ظل غياب أو انعدام شطر كبير من أساطير الفترة الزمنية قبل مقدم الملكة تين هنان إلى الأهقار ،ذلك أن هاته الفترة تتماثل ظروفها مع تفكير الإنسان البدائي ،الذي ساهم في خلق الأساطير الأولى ، وتناسب أيضاً مع ما سقناه من مواد أولية عن اسابتن خاصة ،على اعتبارهم الانسان البدائي بالنسبة لقبائل إموهاغ اليوم.

إن الأساطير التي وردت في المتن لا تمثل سوى الفترة التاريخية ما بعد قدوم تين هنان أو الفترة ما قبلها لكن ملاحظتها طغت عليها العناصر الجديدة، ذلك أن الإنسان يخلق أساطير وفق حاجته .
باستثناء ما وصلنا من بعض المواد الأسطورية على نحو:

- اتخاذ "اسابتن" السهل إلهاً "سهل اغنار agnнар" (وهو مدخل مدينة تامنغست حالياً)
- أسطورة "تيبازيين".*
- ما وصلنا من مقاطع من الأسطورة الملحمية "ممالن داليس" باعتبار الشخصيتين من قبيلة "اسابتن".
- ومن المواد الأسطورية عدم تسمية الابناء بتسمية الشخصيات ذات الشأن والقيمة لأن ذلك يعد عدم احترام للشخص الميت "ودليله عدم انتشار اسم الملكة تين هنان بين قبائل إيموهاغ في ذلك الوقت احتراماً للعادة المسماة: بالتارقة "تيبودار tibudar".*
- برأيي خصوصية إيموهاغ والبيئة التي تحتضنهم أعطى خصوصية جزئية لأنواع الأساطير بالمنطقة، أوضحها كما يأتي:

الأسطورة التعليلية: تحتل الأساطير التعليلية القسم الأكبر من أساطير إيموهاغ وإيموهاغ الأهقار

، ومبرره أن أمة إيموهاغ في صراع وجودي بين الطبيعة من جهة وبين باقي الأمم التي تحيط بها، فهي قضية إثبات وجود وهوية معاً، فصراع البقاء الذي خاضته قبائل الإيموهاغ منذ الأزل بما تصوره رسومات الأثرية على الجبال، إن من خلال الصيد قديماً، أو من خلال السلب والإغارة، والرعي، وتجارة المقايضة التي تقتضي الترحال الطويل ما يربو عن عام كامل ضماناً للحياة الكريمة .

فأسطورة "فوقاس" * تقف معللة لظاهرة تلثم رجال إيموهاغ دون النساء التي تميزت بها قبائل الإيموهاغ (التوارق)، الذي أحيكت حوله عدة قصص وحكايات:

- أن قبيلة نزل بها الغزو وكان الرجال غائبين عن حياضها، فتلثمت النساء وخرجت للدفاع عن حماها، ومذ ذاك صار الرجال يتلثمون"
- وفي رواية أخرى أن الرجال أحجموا عن لقاء الغزاة فتقدمتهن النسوة، فوضعن اللثام استحياء من صنيعهن.

تجليات الرموز ودلالاتها :

لا يمكننا الإغفال عن أهم جانب من الجوانب الذي تسلط عليه الدراسات الأنثروبولوجية الضوء وهو النظام القروي، إذ تمتثل النظم القروية وعلاقتها، للنظام الأمومي الذي يرجح الخط الأمومي في الجاه والميراث . كما تفرض قواعد أخرى سيطرتها على تفعيل العلاقات القروية وفق الفئات العمرية الكبير (امقاز) والصغير (امضراي). ومن ثم فإن معظم المتنون الحكائية للأساطير تحتكم لهذا العرف، وما ينضوي تحته من من علاقات سياسية كالسلطة الممثلة في الحاكم "امانوكل"

وصفاته، وبيان دور المرأة في هذا المجتمع من خلال جعلها محور المجتمع كله، وذلك ما يعيدنا لأساس هذا النظام وهو العرف الأمومي .

رابعاً : الخاتمة :

- إن أهم ما نخلص إليه مما تقدم من بحثنا أن الأساطير لا موطن لها فهي خلاصة معمقة من تجارب الانسانية ونظرتهم للحياة وتنظيمها ضمن نوااميس وشرائع وضعية، ومن الخطئ نسبها لحدود زمانية ومكانية جغرافية، فهي وليدة كل زمان ومكان وأن تشاقلت صورها ومضامينها، فلكل بيئة جغرافية رمزيتها.
 - و أساطير الاهقار محملة برموز وصور نتيجة تراكمات تاريخية وثقافية، وهي صورة صادقة للمخيل الاجتماعي ونقل لجميع عناصره عبرها.
 - إن تصنيف الأساطير يخضع لمعايير ثقافية وتاريخية تحكم عناصره وخصائصه، كما لا بد ان نقدم البيئة ونضيفها للمعايير المؤثرة في تصنيفها.
 - أن أساطير الأهقار تتمايز بتصنيفها وتنوع بفضل تنوع فضائها وزمانها وخصوصية بيئتها. كما حافظت على معظم عناصرها بفضل بقاء الهقار رداً من الزمن منغلقة على نفسه، مما ساهم في تشكل عناصر ثقافته وفكره وايضا أساطيره.
 - لازالت أساطير الأهقار ترزح تحت نير الدراسات السطحية ولم تول الأهمية اللازمة فهي متحف مفتوح على ثقافات القدم وعلى تفكير الأسلاف، تستدعي التنقيب عنها بأدوات ومناهج حديثة تواكب الحضارة وتسمح بانفتاح على مضامينها.
 - تحمل الدراسات الأنثربولوجية آفاقاً بعيدة بنقلها من رؤية استعمارية الى مخابر علمية، غايتها ليس التصنيف والتحليل فحسب، بل فهم المجتمع ومحاولة ارساء خطط عميقة لتطويرة وفق قيمه ومبادئه.
- يمكننا الانفتاح على اصناف جديدة ومعايير مختلفة بإخضاع هذه المتون الحكائية الأسطورية لمناهج حديثة تتحكم في آليات جديدة، ومن ثم تكشف عناصر جديدة لم تصل اليها الدراسات السابقة.

وعليه لاتزال الأساطير في الهقار مادة خام لا بد من إخضاعها للبحث الأكاديمي، وعلى تنوع مناهجه، وضرورة الاستفادة من العلوم وآلياتها القرائية الجديدة التي تنفتح على البحث في التراث وإعادة قراءته بآليات جديدة، مما يعمق البحث العلمي ويثريه ويعززه.

ونأمل من هذه الدراسة تسليط الضوء على هذا الإرث الوطني الذي مايزال في حاجة الى التنقيب العلمي، إذ تكمن أهميتها في رصد النتاج الأدبي الشعبي لدى إيموهاغ وتحديد خصائصه ومن ثم فتح المجال للبحث فيه.

قائمة المراجع:

- (1) G. Camps . (بلا تاريخ). *journals.openedition.org*.
- (2) H.Claudot Hawad .(2003). *EncyclopedieBerbere*.
- (3) إ.أ جيمس. (1998). *الأساطير والطقوس في الشرق الأدنى*. دم: دار التوحيد للنشر.
- (4) احمد المخطار عمر. (2003). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. القاهرة: عالم الكتب.
- (5) الشماس عيسى. (2004). *مدخل الى علم الانسان (الأنثروبولوجيا)*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- (6) الياد مرسيا. (1987). *مظاهر الأسطورة*. سوريا: دار كنعان للدراسات والنشر.
- (7) أمينة فزازي. (2010). *مناهج دراسات الأدب الشعبي*. الجزائر: دار الكتاب الحديث.
- (8) ايباه سيدي محمد. (بلا تاريخ). *المظاهر الثقافية والأنماط المعيشية من خلال الرسومات الصخرية*. بتفدست.
- (9) بريتشارد إدوارد. (1960). *الأنثروبولوجيا لإجتماعية*. الاسكندرية: منشأة المعارف.
- (10) عياد أبلال. (2011). *انثروبولوجيا الأدب*. القاهرة: روافد للنشر والتوزيع.
- (11) فوزي العنتيل. (1978). *بين الفلكلور والثقافة الشعبية*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- (12) قيس الثوري. (1981). *الأساطير وعلم الأجناس*. العراق: جامع الموصل.
- (13) مصطفى اوشاطر. (2019). *الأسطورة وإشكالية تصنيفها في الدراسات الحديثة*. مجلة بحوث سيميائية، 380-351.
- (14) نبيلة ابراهيم. (دت). *أشكال التعبير في الأدب الشعبي*. القاهرة: دار نضضة مصر.
- (15) وديع بشور. (2013). *الميثولوجيا السورية - أساطير آرام*. سوريا: دال للنشر والتوزيع.

الهوامش:

*1 ممان دالباس :حكاية شاب اسمه الياس وخاله،وهي تروي صراع على السلطة والصيت

- تنيسمت : حكاية امرأة اشتهرت بترعيب الرجال وقتلهم.

* تيباراضين: حكاية تيبراضين أو الفتاتين: تقول الاسطورة أن فتاتين فرّتا من الغزو تجنباً للأسر، (هاتين الفتاتين احدهما نبيلة وهي بيضاء والثانية عبدة لها وهي سوداء البشرة) و توجهوا للإله بأن يحولهم الى حجارة، وكانا لهما ذلك .

* تيبودار **tibudar**: عدم اعطاء اسم السلف (الأجداد الموتى) للأبناء من باب احترامهم.
* فوقاس: امرأة تدعى "فوقاس" ومعنى اسمها الشجاعة والقوة والرزانة والجمال.